تجليات المكان في المقدمة الطللية لدى الشعراء المحافظين في السعودية

(دراسة سيميائية)

د. عبدالله بن خليفة السويكت

بحث مدعوم من مركز البحوث والدراسات الإنسانية بجامعة المجمعة لعام : ١٤٣٢/١٤٣٣هـ

ملخص البحث :

تتناول هذه الدراسة تجليات المكان وفلسفته لدى شعراء التيار المحافظ السعودي من خلال المقدمة الطللية التقليدية، خصوصاً وأن هذه المقدمة تمثل مظهراً إبداعياً ووسيلة إلهامية تثري تجربة الشاعر وتحفزه على الابتكار؛ لأنها كانت لدى الشاعر الجاهلي تقوم بوظيفة الملهم، والمرشد، والمبدع للشاعر الذي وقف عليها، والذي لم يقف عليها، حتى يستدروا مواهبهم الشعرية ويستثمروا إحساسهم الفني .

ثم إن هذه الأطلال – كانت ولا تزال – قناعاً فنياً يسقط الشاعر عليها جملة أحاسيسه، ويتخذها ستاراً لمواضيعه ، ومن ذلك يستشف أن المقدمة الطللية بأماكنها التي وقف عليها الشاعر جاءت لتمثل استجابة لحاجة الشاعر ، ومدعاة لتفتيق موهبته الشعرية ، يستوي في ذلك ذكر الأمكنة من حيث كونها واقعية أو متخيلة .

أما على صعيد الدلالات الفنية التي أسقطها الشاعر السعودي على تلك الأماكن – بغض النظر عن واقعيتها أو تخيلها- فهي على درجة من التأثير والإيحاء لا محالة فكل بيئة كانت تمد الشاعر بروافد طللية تبعاً لمسميات أمكنتها التي أودعها خلاصة ذكرياته، فأثرت فيه حتى أسقط عليها نفسه ووجدانه، لأنه يريد أصحابها، لذلك أسرف في ذكرها لأنها متنفس عواطفه وأحلامه، كما كان لهذه الأمكنة في المقدمات الطللية دلالات فنية، هو من العلم بحيث كان الشاعر يقصدها قصداً فهي ليست سنّة طللية فحسب بل كانت سنّة فنية ونفسية ؛ لأن البعد الطللي غني بالمعاني الرمزية من الوجهة النفسية بخاصة، فقد اعتمد الشعراء في صياغتهم الفنية على الطاقات التي تفتقها خبايا النفس وتجارب الذات الشاعرة ، ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة .

مشكلة البحث وأهميته :

لما كان كثير من الشعر العربي، –والشعر السعودي على وجه الخصوص– شعر مكاني في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته، والإنسان الذي أبدعه، كان لزاما على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى هذا المكان الذي يتصدر أي قصيدة قديمة أو نسجت على النهج القديم .

وعندما يُفتَتَح سفر الشعر العربي، تقف الأطلال في وجه القارئ شامخة على مطلع القصائد، وكأنها السمة التي يُعرف بها الشعر العربي الجيد المكتمل على مر العصور. وكأن القصيدة الخالية من الطلل قصيدة ناقصة مبتورة، أو هي قصيدة لم تنل من النضج والاكتمال حظها الأوفر ؛ لذا فقد أحس الواصفون للأطلال – نثرا وشعرا – بهذه

العلاقة الوطيدة، وعادوا على المكان بأوصاف الإنس والاجتماع، وانصرفوا عن المظاهر الخارجية لعدم جدواها فيما يريدون البوح به من أحاسيس. وكلما أفرغوا على المكان شيئا من نعوت وأحوال الإنس، كلما بدت المسافة بين ما قصدوه وما حققوه قريبة يمكن الارتياح لها، إذ هي تفي ببعض المراد ، وهذا التنظير الذي تحلل به القصيدة الجاهلية هو ينطبق على قصيدة شاعر القصيدة المحافظة في الشعر السعودي.

وبناءً على ماتقدم تولد لدى الباحث الإحساس بأهمية إجراء دراسة علمية تبحث في تجليات ذلك المكان وجمالياته وكيف استجلاه الشعراء السعوديون في قصائدهم تقليداً .

ويمكن حصر مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي :

-ما أبرز تجليات المكان في المقدمة الطللية لدى الشعراء المحافظين في السعودية .

يتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية :

-لماذا الطلل ؟

-ما أبرز تجليات المكان الجمالية ؟

-ما أبرز تجليات المكان الرمزية ؟

-ما أبرز تجليات المكان في إطار التضاد ؟

-ما أبرز تجليات المكان في الطلل الحديث ؟

منهجية البحث :

قامت دراسة المكان في المقدمة الطللية في القصيدة المحافظة لدى الشعراء السعوديين على المنهج السيميائي التحليلي ؛ الذي يقوم على معرفة علمية متشعبة تبحث في تشكيل الأنظمة العلامية وتحليلها بقصد التبليغ وإقامة جسور للتواصل، يتخذ من أنظمة العلامات موضوعاً له يقولبه ويصوغه في شكل محدد دال.

وتعد السيميائيات معرفة عابرة لتخصصات عديدة مثل: اللسانيات ، وتحليل الخطاب ، وعلم الأسلوب، والبلاغة ، والتداولية، وأنظمة التواصل المختلفة اللغوية وغير اللغوية. ولذلك فإن ما سنتناوله في هذه الدراسة، لا يعدو كونه لفت انتباه إلى نوع من أنواع الخطاب صار يفرض نفسه علينا يومياً، وصرنا نعايشه في كل مكان وزمان ونراه يعيد تشكيل أنشطة الحياة ويعبر عنها .